استمارة المشاركة

الاسم واللقب: نور الدين حاج خلوف.

الجنسية: جزائرية.

الدرجة العلمية: طالب دكتوراه السنة الرابعة – علوم إسلامية –.

التخصص: عقيدة إسلامية.

المؤسسة: جامعة الجزائر –1 –بن يوسف بن خدة.

العنوان: تاجنانت– ولاية ميلة –.

البريد الالكتروني:n.hadjkhelouf@univ-alger.dz

رقم الهاتف: 0790717076

عنوان الملتقي:

ظاهرة الإلحاد المعاصر عوامل التشكل..وسبل المواجهة.

المحور الرابع – آليات المجابهة –

عنوان المداخلة:

تجديد الفكر الديني وسؤال الإلحاد المعاصر – الفلسفة الائتمانية أنموذجا –

ط.د. نور الدين حاج خلوف

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد:

التعريف بالموضوع وأهميته:

لقد شغلت الظاهرة الدينية الإنسان منذ القدم وسعى أن يجد لها تفسيرا يسكن العقل إليه لذا تعددت مقارباته لها من استعمال الرمز وتمثله الأسطورة إلى استعمال آليات العلوم الإنسانية والتجريبية وزاد الإلحاح أكثر لفهم الظاهرة الدينية خلال القرون الماضية أي من القرن 16م وهو عصر النهضة الأوروبية وعصر الحداثة من أجل تفكيك وتقويض المقدس من الحياة الإنسانية ولم يتوقف فضول الإنسان بل تقدم خطوة أخرى وأكثر جرأة منذ أحداث 11 سبتمبر 2001م الدموية بأن يجعل بدل الرؤية الدينية الرؤية الإلحادية للحياة والقضاء على الدين وذلك عن طريق العلم التجريبي ومن أجل مواجهة هذه الرؤى أصبح لزاما على المفكر الديني وخاصة الإسلامية منها أن تجدد فكرها الديني وخطابها وأن تواجه الموجة الإلحادية الجديدة بآليات معرفية جديدة ومقاربات دينية بديلة عن المقاربات، الحداثية وما بعد الحداثية، فيما يخص الفضاء الغربي، ومقاربات تجديدية للعلوم الإسلامية فيما يخص الفضاء العربي الإسلامي أيضا، وإنَّ من شرط هذه المقاربات أن تستوعب الظاهرة الدينية بنظر تكاملي بعيدة عن النظرة التجزيئية والتفاضلية للظاهرة الدينية مما ينجم عنه الاختزال الذي يُضرُّ بالتجربة الدينية والتجربة الإنسانية معا ومن بين هذه المقاربات الجديدة الفلسفة الائتمانية التي جدّدت النظر في الظاهرة الدينية – الإسلامية بالخصوص – وأعطت تأويلا جديدا لها انطلاقا من المسألة الأخلاقية ومن الجمع ما بين الحقيقة الدينية و الحقيقة الإنسانية مرتكزة على تجديد النّظر في المصطلح وخاصة الديني ممّا سمح للدين بالولوج إلى ظواهر الحياة سواء بالإجابة على أسئلة الحاضر وإيجاد حلول لمشكلات الإنسان المعاصر الأخلاقية وغياب المعنى، أو بالنقد الأخلاقي والإيماني الموجه للظواهر الإنسانية المتعددة أي أصبح للدين حق التكلم و التكالم في هذا العصر، ومن بين تلك الظواهر، ظاهرة الإلحاد المعاصر – الجديد –.

وفي هذا الإطار قامت كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر " باتنة "، بتنظيم ملتقى الوطني بعنوان: (ظاهرة الإلحاد المعاصر عوامل التشكل..وسبل المواجهة)، ومساهمة منا في إثراء الموضوع أردنا أن نشارك في هذا الملتقى، بمداخلة تحت عنوان: (تجديد الفكر الديني وسؤال الإلحاد المعاصر – الفلسفة الائتمانية أنموذجا –).

وتكمن أهمية هذه الورقة في أنها محاولة للردّ على الظاهرة الإلحادية المعاصرة من منطلق فكر ديني إسلامي خالص اخترنا أن تكون الفلسفة الائتمانية نموذجا له للفيلسوف: طه عبد الرحمان، وعلى الرغم من أن صاحبها لم يتطرق إلى الإلحاد المعاصر مباشرة فقد حاولنا استثمار الفكر الائتماني في مثل هذه القضايا وإعطاء نفس آخر لها.

إشكالية البحث:

إن من مظاهر التجديد الفكر الديني الإسلامي اليوم هو بروز الفلسفة الائتمانية إلى الساحة الفكرية بمقاربة جديدة انطلقت من الدين نفسه أي؛ دراسة الدين في ذاته، و من أجل ذاته، مما سمح لها بإعادة تأويل الظاهرة الدينية وفق منهج متكامل ومساءلة الفكر الحداثي ومظاهره كالعلمانية والإلحاد المعاصر من منظور ديني خالص،وهنا نصل إلى طرح مجموعة من الأسئلة هي: ما مفهوم الفلسفة الائتمانية؟ وما هي المبادئ التي قامت عليها؟ ما منظور الفلسفة الائتمانية للأخلاق والدين؟ وما هي أوجه النقد التي وجهتها إلى الإلحاد المعاصر؟ما مفهوم الإلحاد المعاصر؟ وما هي المبادئ التي قام عليها؟ ما منظور الإلحاد المعاصر للأخلاق وللدين؟.

الدراسات السابقة: يعتبر فكر طه عبد الرحمان فكر ثريّ ومتنوع شمل عدة اختصاصات معرفية كعلم المنطق، وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم المقاصد، وعلم اللسانيات وعلم الترجمة والفلسفة...وغيرها، لذا فإن مجموعة من الأبحاث والدراسات والندوات والملتقيات عقدة لمدارسة ومباحثة فكره ومن بينها دراسات حول الفلسفة الائتمانية، وقد تنوعت هذه الدراسات والكتابات بين رسائل جامعية،ومقالات علمية، ومن هذه الدراسات نذكر:

- النقد الائتماني للخطاب الدهراني،- طه عبد الرحمان أنموذجا – رسالة دكتوراه بجامعة الحاج لخضر باتنة1،للباحثة بعيدي رقية، نوقشت سنة 2020م.
- فكرة التأسيس للنظرية التربوية في الفكر الإسلامي المعاصر، – طه عبد الرحمان أنموذجا –، دكتوراه المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، للباحث مقدم إدريس، نوقشت سنة2023م.

أما كتب التي عالجت ظاهرة الإلحاد المعاصر فهي كثيرة منها:

- ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، الطبعة الثانية:2014م.
- ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، سلطان بن عبد الرحمان العميري،الطبعة الثانية: 2018م.

ولكن هذه الدراسات على أهميتها لم تتناول جانب النقد للإلحاد المعاصر بنفس عنوان ورقة البحث.

منهجية البحث والتقسيم:أما عن منهج البحث، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي،لإبراز أهم المعالم المعرفية للرؤية الدينية والرؤية الإلحادية المعاصرة، والمنهج المقارن في حالة إجراء مقارنة بين الرؤية الكونية الائتمانية والرؤية الكونية الإلحادية المعاصرة. كما استعملنا المنهج التحليلي الاستنباطي في حالة استخراج آليات العمل المعرفي لكلا النسقين، النسق الائتماني والنسق الإلحادي المعاصر.

وقد اشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة وفيها: التعريف بالموضوع وأهميته، الإشكالية، الدراسات السابقة، منهجية البحث والتقسيم.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.

المطلب الأول: مفهوم الفلسفة الائتمانية.

الفرع الأول: الائتمانية لغة.

الفرع الثاني: الائتمانية اصطلاحا.

الفرع الثالث: مبادئ الفلسفة الائتمانية

المطلب الثاني: مفهوم الإلحاد المعاصر.

الفرع الأول: الإلحاد لغة.

الفرع الثاني: الإلحاد اصطلاحا.

الفرع الثالث: مبادئ الإلحاد المعاصر.

المبحث الثاني: النقد الائتماني للفكر الإلحادي المعاصر.

المطلب الأول: التجديد في المصطلح.

الفرع الأول: مصطلح الدنيانية.

الفرع الثاني: صور الدنيانية.

المطلب الثاني: التجديد في النظر الديني.

الفرع الأول: عقلانية الدين.

الفرع الثاني: دنيانية الإنسان – التأويل الديني للإنسان –.

المطلب الثالث:النقد الائتماني للأخلاق العلمية – العلمانية –

الفرع الأول: الأخلاق الإلحادية.

الفرع الثاني: الأخلاق الائتمانية.

الفرع الثالث:القيم واتصال الفطرة الإنسانية بالأسماء الحسنى.

خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.

نقف في هذا المدخل على بيان بعض المصطلحات التي يدور عليها البحث وهي:

المطلب الأول: مفهوم الفلسفة الائتمانية

الفرع الأول: الائتمانية لغة: تشتق الائتمانية من الأمانة وتدور مادة (أ / م / ن) على المعاني التالية:

الأول: " (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما التي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب؛ والآخر التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان."[1].

الثاني: " **الأمان والأمانة** بمعنى. وقد أَمنت فأنا أمن، وآمنت غيري من الأَمن والأَمان. و**الأمن** ضد الخوف. و**الأمانة** ضد الخيانة. و**الإيمان** ضد الكفر.والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب.يقال آمن به قومه وكذب به قوم، فأما آمنته المتعدي فهو ضد أخفته. "[2] ويقال أيضا " **الأمانة والأَمَنَةُ**: نقيض الخيانة لأنه يؤمن أذاه، وقد أمنه وأمنه واتمنه؛ عن ثعلبة وهي نادرة...وأجود اللغتين إقرار الهمزة، كأن تقول ائتمن.**مؤتمن القوم** الذي يثقون إليه ويتخذونه أمينا حافظا،...ويقال: ما كان فلان أمينا ولقد أَمُن يأمُنُ أمانة. **الأمانة** تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان. "[3]

إن دلالة الأمان والائتمان وما يرتبط بها من حقل دلالي تدور على المعاني التالية:الثقة، الأمان، التصديق، الحفظ، التأدية، الحمل، القوة. والدلالة المقصودة في مفهوم الائتمان هي: الحفظ، التأدية، والوديعة، وضد الخيانة.

الفرع الثاني: الائتمانية اصطلاحا: " الائتمان عبارة عن خلق عمودي يورثه التوسل بأسباب مأخوذة من الماهية الروحية للإنسان، ممثلة في النفخة الخلقية، في مقابل الاحتياز الذي هو خلق أفقي يورثه التوسل بأسباب مأخوذة من الماهية النفسية للإنسان، ممثلة في الذات الثبوتية؛ كما أن هذا الخلق العمودي يستند إلى ذاكرة من وراء حجاب الحس، وهي الذاكرة الأصلية التي تحفظ الشهادات غير المرئية، في مقابل الخلق الأفقي الذي يستند إلى ذاكرة من وراء حجاب الظاهر، وهي الذاكرة اللاشعورية التي تحفظ المشاهد المرئية، ولا يتم انكشاف الذاكرة الأصلية إلا بمعالجة تزيل عن الفطرة الأولى طبقات العادات التي تغشيها، في مقابل الذاكرة اللاشعورية التي لا يتم انكشافها إلا بمعالجة تجعل ما كان مطمورا تحت طبقات اللاشعور يبرز إلى الشعور."[4] يستند طه عبد الرحمان في تعريفه على خصائص الأمانة التي استخرجها من قوله تعالى: يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ سورة الأحزاب الآية:72. ويذهب طه عبد الرحمان أن المقصود بالأمانة هنا هي حفظ الأوامر الإلهية وحفظ القيم الأخلاقية ومن خصائص الأمانة أنها فعل روحي و يكون ضدها الحيازة وهي منأفعال النفس وهو مبني على الفرق بين الروح والنفس في فلسفة طه عبد الرحمان.

وعليه فإن مفهوم الفلسفة الائتمانية هو ما حدده طه عبد الرحمان بقوله أنّ " النظرية الائتمانية عبارة عن نظرية أخلاقية تتأسس على حقائق الإنسان التي اشتركت فيها الأديان وتتوارثها الحضارات سواء أقرت هذه الحضارات بأصولها الدينية أو أنكرت هذه الأصول."[5].

---

[1]–أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج1، ص133.

[2]–ابن منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص140.

[3]– ابن منظور، المصدر نفسه، ج1، ص141.

[4]– طه عبد الرحمان، شرود ما بعد الدهرانية النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، ط:1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع ، لبنان – بيروت، 2014م، ص28.

[5]– طه عبد الرحمان، ثغور المرابطة مقاربة ائتمانية الصراعات الأمة الحالية،ط:1، منشورات مركز مغارب للدراسات في الاجتماع الإنساني، الرباط – المغرب، 1414هـ – 2018م، ص12.

من التعريف نستخرج أهم مميزات الفلسفة الائتمانية:

1. أنها فلسفة تداولية استندت إلى النصوص التأسيسية "القرآن والسنة " في عملية بنائها كمصطلح الائتمانية.
2. أنها فلسفة أخلاقية تتركب من أخلاق الأديان السماوية وبخاصة الإسلام باعتباره خاتم الأديان.
3. الرؤية الكونية للفلسفة الائتمانية هي رؤية أخلاقيةلذا فهي تعيد قراءة الدين والإنسان والعالم قراءة أخلاقية من منطلق أسبقية الأخلاق على الوجود أي؛ أن " الخُلق يتقدم على الخَلق "[1].
4. اعتمدت الفلسفة الائتمانية على تصور جديد للعقل وذلك باعتباره فعل من أفعال القلب وهو ذو مراتب ثلاث هي: العقل المجرد، العقل المسدد، العقل المؤيد.[2]

الفرع الرابع: مبادئ الفلسفة الائتمانية

أولا: مسلمة تعدية الوجود الإنساني: " حقيقة الإنسان عندنا أنه لا يقصر حياته على العالم المرئي، بل يتعداه إلى عالم غير مرئي – أو قل عالم غيبي – سواء تعذرت رؤيته في الحال أو تعذرت في المستقبل "[3] وهو بهذا يضاد تصور المادي للوجود الإنساني فمن الضيق إلى الانبساط في الوجود.

ثانيا:النظرية الأخلاقية؛ وتنطلق من أن ماهية الإنسان ماهية أخلاقية وليس العقل كما قد ترسخ في أدبيات الفلسفية القديمة والحديثة، بل إن أفعال الإنسان أفعال أخلاقية حتى العقل فهو تابع للأخلاق أي أن الإنسان كائن أخلاقي بدل الإنسان كائن عاقل.

ثالثا: الدين مصدر الأخلاق؛ وليس الواقع أو العقل، فلا فصل بين الأخلاق والدين أبدا، كما يحدد طه عبد الرحمان الأسماء الحسنى مصدر القيم الأخلاقية.

رابعا: النظر الائتماني؛ هو نظر أخلاقي أي؛ استعمال النقد الأخلاقي في العملية المعرفية.

خامسا: الزوج الجدلي؛ الانقلاب والمنازعة، يمكن اعتباره الزوج الديناميكي للفلسفة الائتمانية أو الروح المحركة للفلسفة الائتمانية، فلا انقلاب بلا منازعة ولا منازعة بلا انقلاب هذه الصيغة الجدلية هي أساس الذي بنيَ عليه النقد الائتماني.

المطلب الثالث: مفهوم الإلحاد المعاصر.

الفرع الأول: الإلحاد لغة: وهو مأخوذ من مادة (ل / ح / د) وتعني: " (لحد) اللام والحاء والدال أصلٌ يدلُّ على ميلٍ عن الاستقامة. يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريقة الحق والإيمان. وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الحدث. يقال:

---

[1]–طه عبد الرحمان، شرود ما بعد الدهرانية النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، ص269.

[2]– انظر: طه عبد الرحمان، العمل الديني وتجديد العقل، ط2:، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء– المغرب، 1997م، ص17، وص58 وص121.

[3]– طه عبد الرحمان، روح الدّين. من ضَيق العَلمانية إلى سَعَة الائتمانية، ط:2،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء – المغرب، 2012م، ص39.

لحدت الميت وألحدت. والملتحد: الملجأ، سمي بذلك لأنه اللاجئ يميل إليه. "[1]وجاء في لسان العرب: " ولحد في الدين يلحد وألحد: مال وعدل "[2]، ويقول أيضا " وألحد الرجل أي ظلم في الحرم وأصله من قوله تعالى : ومن يرد فيه بإلحاد بظلم أي إلحادا بظلم. "[3]، وذكر أيضا أن " معنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد. "[4].

نستنبط مما سبق أن الإلحاد يدور على معنى الميل عن سبيل الحق وأن كل ظلم هو ميل عن الحق، ونستخرج من الدلالة اللغوية أهم خاصية للإلحاد ألا وهي " **قلب القيم** " وذلك بالمقابلة اللغوية للإلحاد فمقابل الميل هو الاستقامة فالملحد من يجعل الميل بدل الاستقامة أو الضلال بدل الهدي فالقيم مقلوبة عنده وهذا ما نجده عند أصحاب الإلحاد الجديد إذ جعلوا أصل التاريخ الإنساني مبني على الإلحاد وليس الإيمان ولذا قالوا عن الإله أنه فرضية[5].

الفرع الثاني: الإلحاد المعاصر اصطلاحا: عُرِّف الإلحاد بعدة تعريفات منها:

حدَّه جميل صليبا بقوله: " والإلحاد في اصطلاحنا هو إنكار وجود الله. "[6] وبهذا فإنه يخرج إنكار الصفات الإلهية والاعتقادات الدينية الأخرى من الإلحاد " إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله ، لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله، أو تخالف معتقدا دينيا معينا أو رأيا جماعيا مقررا. "[7]كما عرفه قاموس لالاند بقوله: " عقيدة قوامها إنكار وجود الله. "[8] أي؛ أن الأساس الذي يقوم عليه الإلحاد هو إنكار وجود الله وبأي اسم أو وصف يطلق عليه لفظ الله سواء كائن مطلق أو لا متناهي... وهذا ما يؤكد عليه ريتشارد دوكينز وهو واحد من الفرسان الأربعة للإلحاد المعاصر بقوله: " أنا لا أهاجم نوع معين من الآلهة. أنا أهاجم الله كل الآلهة أي نوع من الآلهة، كل ما هو خارق وما ورائي أينما وحيثما وجد أو سيوجد. "[9]وهي نظرة مادية بحتة للوجود أساسها إنكار الإله والذي يلزم بدوره إنكار العالم الما وراء أو الغيب، وقد عرّفه أحد الرافضين للإلحاد وهو ألفن بلانتنجا بقوله: " على أنه الاعتقاد بأنه لا وجود لشيء مثل إله الأديان الألوهية. "[10].

مجمل القول أن الإلحاد الجديد هو إلحاد يقوم على نفي الإله جملة وتفصيلا. وهكذا نكون أمام رؤيتين متضادتين الأولى رؤية كونية تقوم على موجودات ثلاث: الله وهو الأساس، والعالم و الإنسان.وهي رؤية الأديان بصفة عامة، ورؤية

---

[1]- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج5، ص236.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ج44، ص4005.

[3]- المصدر نفسه، ج44، ص4005.

[4]- المصدر نفسه، ج44، ص4005.

[5]- " سأقترح بأن وجود الله هو نظرية علمية بالرغم من أنه من الصعب تجربتها عمليا. " انظر: ريتشارد دوكينز، وهم الإله، تر: بسام البغدادي، ط:2، ص52 ، وص74.

[6]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت – لبنان، 1994م/ 1414هـ، ج1، ص119.

[7]- جميل صليبا، المصدر نفسه، ج1، ص20.

[8]- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، ط:2، منشورات عويدات، بيروت – باريس، 2001م، ج1، ص107.

[9]-ريتشارد دوكينز، وهم الإله، تر: بسام البغدادي، ص38.

[10]- عبد الله الشهري، هل الإلحاد لاعقلاني؟، Is Atheismlrrational?، جاري جنتج مع ألفن بلانتنجا، مجلة براهين، العدد 4، ص1.

كونية تقوم على موجودان اثنان هما: الإنسان والعالم. فلا وجود لأديان في مثل هذه الرؤية وفي مثل هذا النسق الحياتي للعلم.

الفرع الثالث: مبادئ الإلحاد المعاصر:يمكن إجمال أهم أسس الإلحاد المعاصر في العنصرين التاليين هما:

أولا: العلم التجريبي؛ وهو الأساس الذي انطلق منه الإلحاد المعاصر في بناء رؤيته الكونية مزيحا ليس الدين فقط بل حتى العلوم الإنسانية أيضا فكل مظاهر الحياة الإنسانية والطبيعية يمكن للعلم أن يفسرها ويجيب على الأسئلة الوجودية الكبرى[1] وهذا تطرف في النظر إلى العلم وحدوده.

ثانيا: النظرية الداروينية؛ في تفسير مظاهر الحياة الإنسانية والحيوانية[2]، ولاتكاء على الثورة البيولوجية وعلم الأعصاب وما حققه من اختراق لفهم الدماغ[3] وهي نظرة مادية بحتة للحياة وحصر الوجود في الوجود المادي فقط.

المبحث الثاني:النقد الائتماني للفكر الإلحادي المعاصر.

يؤسس الفكر الإلحادي المعاصر في بناء نسقه الفلسفي على مسلمة نفي الألوهية ويعمل على إزاحة الدين من مجالات الحياة جميعا بل إلى الدعوة إلى القضاء عليه، وإن أولى ارتدادات نفي الألوهية على مستوى الإنسان تظهر آثاره في مجال الأخلاق لما لها ارتباط وثيق بالدين وهذا ما لا يقرُّ به الملحد المعاصر فما هو النقد الائتماني لعملية إزاحة الدين من مجالات الحياة؟ وما هي الأخلاق في نظر الائتمانية؟ وما هي علاقة الأخلاق بالدين؟.

المطلب الأول: التجديد في المصطلح

إن من أهم آليات المنهجية في الفلسفة الائتمانية " المصطلح الفلسفي " وإن كانت له خصائص يستمدها من المجال التداولي الإسلامي وهو ما يطلق عليه طه عبد الرحمان " **التأثيل** " فيعمد إلى استثمار إمكانات اللغة العربية كما أنه يستند إلى النص القرآني والسنة النبوية " ولا نملك أصلا تداوليا أقوى من النص القرآني نبني عليه تصورتنا وتحليلاتنا "[4] والدليل على ذلك مصطلح الائتمانية إذ استخرجه من القرآن الكريم وعمل على توظيف دلالته في بناء نسقه الفلسفي أي الانطلاق من النص القرآني والرجوع إليه وهكذا يحقق شرط مناسبة المنهج للموضوع، وللكشف عن مظاهر الفصل الدين عن مجالات الحياة المختلفة التي أحدثتها الحداثة وهي نفس دعوى الإلحاد المعاصر وإن اختلف معها في أنه جعل محلّها

---

[1]- يقول دوكينز: " وليس هناك من خالق متفكر ما وراء الطبيعة يتسنط من وراء الكون، ليس هناك روح تبقى بعد بلاء الجسد، ولا معجزات لكن هناك الآن بعض الظواهر الطبيعية التي لم نفهمها بعد وسنتمكن في المستقبل من تقديم تفسيرات لهذه الظواهر الغير مفهومة بشكل كامل باستخدام القوانين الطبيعية. "، انظر: ريتشارد دوكينز، المرجع السابق، ص16.

[2]- يقول دوكينز: " على الرغم من أن نظرية الانتخاب الطبيعي محصورة بتفسير العالم الحي فإن باستطاعتها أن ترفع مستوى الوعي للإدراك والقابلية للمقارنة عندنا مما يساعد على فهم الكون نفسه. "، انظر: ريتشارد دوكينز، المرجع نفسه، ص5 – 6.

[3]- يقول هاريس: " إن الحقائق البيولوجية لا تتناسب مع فكرة وجود إله خالق ومصمم كلي المعرفة. "، انظر: سام هاريس، نهاية الإيمان الدين، الإرهاب، ومستقبل العقل، تر: محمد سام العراقي، ط:2، ص170.

[4]- طه عبد الرحمان، دين الحياء. من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني – 1 – أصول النظر الائتماني، ط:1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت، 2017م، ج1، ص36.

الرؤية العلمية بدل الرؤية الحداثية التي تتسم بالشمول فيدخل ضمنها العلوم الإنسانية أيضا، فإنه يمكننا أن نتساءل عن النقد الائتماني لهذا الفصل انطلاقا من المصطلح؟.

الفرع الأول: مصطلح الدنيانية:

هو مصطلح وضعه طه عبد الرحمان ليدل على مجموعة الانفصالات التي أحدثتها الحداثة في بنية الدين حتى أفرغته تماما من محتواه " فصلت الحداثة العلم عن الدين، وفصلت عنه الفن والقانون كما فصلت السياسة و الأخلاق؛ وقد نسمي عملها في انتزاع قطاعات الحياة من الدين باسم عام هو الدنُّيانية "[1] ولكن ألا تتحول مجالات الحياة إلى دين بعد استقلالها عنه فتتعدد الأديان بتعدد مجالات الحياة؟ أليس هذا انقلاب أو مكر بمن أراد أن يفصل الحياة عن الدين؟

الفرع الثاني: صور الدُّنيانية: إذا كانت مجالات الحياة متعددة فإن انفصالها عن الدين يكون هو أيضا متعدد صورة وأثرا " تتعدد صور الدنيانية بتعدد هذه الفصول، فتكون العلمانية (بفتح العين)، مثلا، هي الصورة الدنيانية التي اختصت بفصل السياسة عن الدين "[2] وهكذا مع باقي المجالات ومجموع ما وقف عليه طه عبد الرحمان من انفصالات أربع هي :

1- العَلمانية (بفتح العين): فصل السياسة عن الدين.
2- العِلمانية (بكسر العين): فصل العلم عن الدين.
3- الدهرانية: فصل الأخلاق عن الدين.
4- ما بعد الدهرانية: فصل الأخلاق عن الأخلاق.

إن آثار الانفصال ليست على درجة واحدة بل متعددة وأشدها وقعا هي الدهرانية " إن انعكاسات هذه الفصول الدنيانية على الدين ليست ذات لون واحد، ولا وزن واحد، وإنما تختلف باختلاف أشكال هذه الفصول، فانفصال القانون عن الدين ليس كانفصال العلم عنه، ولا انفصال السياسة كانفصال الفن، ويبدو أن أشد هذه الفصول خطرا وأبلغها أثرا هو فصل الأخلاق عن الدين، لأن أخلاق الدهرانية هي أخلاق مروق، أما أخلاق ما بعد الدهرانية هي أخلاق شرود" فإذا كان الدهراني مارقا، فقد أضحى ما بعد الدهراني شاردا "[3] ومرة أخرى يستثمر طه عبد الرحمان إمكانات اللغة العربية في بناء المصطلح:الدهرانية والمروق، وما بعد الدهرانية والشرود.

وإنّ ما دعا طه عبد الرحمان لإعادة وضع مصطلحات جديدة ما رآه من فوضي في الدلالة على العلمانية والتي تعني فصل الدين عن الدولة فلم يعد يعبر عن حقيقة هذا الفصل لأن الفصل أعمق وأشمل، يقول طه عبد الرحمان: " مبدأ العلمانية، وأريد أن أصحح هذا الاصطلاح ولو مع شهرته. فهذه التسمية تبدو لي ملتبسة، فالعلمانية (بكسر العين) تفيد أن الحداثة تتبع طريق العلم في كل شيء، وهذا المدلول ليس هو المقصود،....،لأن المراد في المصطلح الأجنبي هو **الاهتمام**

[1]- طه عبد الرحمان، بُؤس الدَّهْرانية. النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، ط:1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت – لبنان، 2014م، ص11.
[2]- طه عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص11.
[3]- طه عبد الرحمان، شرود ما بعد الدهرانية. النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، ط:1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع ، لبنان – بيروت، 2014م، ص16.

بأمور الدنيا دون الاهتمام بأمور الآخرة؛ أما العلمانية (بفتح العين) فهي أيضا مبعث شبهة، لأن العلمانية مشتقة من العَلم، والعلم هو العالم، ولفظ العالم يحمل معنى العلامة،....، أي أنها تشير إلى دلالة غيبية، وهذا لا يمكن أن يقبل به الحداثيون في نسق عقيدتهم؛ وأرى أن التسمية الصحيحة لهذا المبدأ ليست العَلمانية ولا العِلمانية، وإنما هي مبدأ الدنيوية أو إن شأت قلت مبدأ الدنيانية، إذ يقضي بالتعلق بالدنيا والاهتمام بها وحدها دون الاهتمام بالآخرة. "[1] وهو ما لاحظه عبد الوهاب المسيري أيضا فقسم العلمانية إلى علمانية خاصة وعلمانية شاملة[2] مستندا في ذلك إلى معايير مختلفة، أما طه عبد الرحمان فاختار المعيار الأخلاقي فيوصف ظاهرة الانفصال التي تقيمه الحداثة مع الدين والحياة لذا اصطنع مصطلح جديد من أجل شرح هذه الظاهرة وبناء استشكالات عليها يقول طه عبد الرحمان " لم نحاك في وضع مصطلح الدُّنيانية أي مصطلح أجنبي، وقد يكون قريبا في مدلوله المصطلح الانجليزي Secularisation في معنى صرف الدين عن تنظيم مجالات الحياة "[3].

المطلب الثاني: التجديد في النظر الديني.

الفرع الأول: عقلانية الدين:تنظر الفلسفة الائتمانية لمسألة الشعائر الدينية والتي يري فيها الملحدون الجدد أنها لاعقلانية وهذا يعني أن الدين لا يقوم على الدليل بل على الإتباع والتقليد يقول هارس:" قد تكون هناك أسباب وجيهة للاعتقاد في ظواهر نفسية، حياة أخرى، عقيدة البعث وقوة الشفاء للصلاة، أو أي شيء آخر، لكن يجب أن تكون مع الأدلة. عقيدة الإيمان تنفي ذلك."[4]زيادة على ذلك أنها لا تخضع لمقولات العلم التجريبي: "المعتقدات الدينية والتي هي مجموعة من الفرضيات غير المبنية على أي دلائل علمية تجريبية لا تقبل الشك."[5] بعقلانية متكاملة[6] من أجل المحاججة على عقلانيتها تقوم بتأويلها أخلاقيا وعلى هذا الأساس تكون **الأخلاق هي الصّورة العقلانية للشعائر** أي النظر في آثار الشعيرة وليس النظر في ذاتها وعلى هذا فقد" صارت معقولية الشعيرة بحسبنا مستمدة من معقولية الخُلق أو الأخلاق التي تقترن بها. "[7] ولإدراك القيم الخلقية التي تنطوي تحتها الشعائر فإنه تحتاج إلى إدراك من جنسها وهذا الإدراك يشترط فيه العمل أي العمل التزكوي وقد اصطلح طه عبد الرحمان عليه" العقل المؤيد " ولهذا لا يستطيع العقل المجرد– لا يستند إلى العمل الشرعي – أن يحيط بأبعاد الشعائر الخُلقية لأنها أبعاد ملكوتية تتجلى فيها المعاني واللطائف الروحية وهو بعيد عنها.

وبهذا الارتباط الذي أقامه طه عبد الرحمان بين الأخلاق والدين وعدم الفصل بينهما أمكن له أن يقيم تأويلا جديدا للدين والعالم والإنسان.

---

[1]– طه عبد الرحمان، الحوار أُفُقًا للفكر، ط:1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت – لبنان، 2013م، ص98.

[2]– انظر: عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير: سوزان حرفي، ط:4، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1434هـ - 2013م، ص104 – 109.

[3]– انظر الهامش: طه عبد الرحمان، بُؤس الدَّهْرانية. النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، ص11.

[4]–سام هاريس، نهاية الإيمان الدين، الإرهاب، ومستقبل العقل، ص163.

[5]– سام هارس، المرجع نفسه، ص176.

[6]– انظر: طه عبد الرحمان سؤال الأخلاق. مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ط:1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء – المغرب، 2000م، ص53.

[7]– طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق، ص223.

الفرع الثاني:ديانية الإنسان– التأويل الديني للإنسان –: إن علاقة الإنسان بالدين هي علاقة وجودية فهما متلازمان منذ وجود الإنسان الأول الملكوتي فالتاريخ الإنساني هو تاريخ ديني وروح الدين هي المحرك الفعلي له وقد أصبحت هذه الحقيقة في مقام المسلمة عند طه عبد الرحمان والنص التالي يوضح ذلك" إن الإنسان يوجد في الدين وجوده في العالم"[1] بمعنى أن الإنسان إذا كان موجود في العالم وهي إحدى أطروحات الفلسفة الوجودية وما يطلق عليه هايدغر بالدازاين(Dasein) ؛ الوجود – هناك، أو الوجود في العالم، فهو أيضا " **موجود في الدين** " فهل يعني هذا أن طه عبد الرحمان يؤسس الوجود على الدين؟ ويمكن اعتبار الإنسان ما هو إلا عبارة عن "**حدث في الدين** "كما هو حدث في الوجود بكل ما تحمله كلمة حدث من دلالات وحمولة دينية وفلسفية. إن ما ينطلق منه طه عبد الرحمان هو ديانية الإنسان وليس أنسنة الدين بعكس مقولات الحداثة ومقولات الإلحاد المعاصر وليس معنى هذا أن الدين ليس إنساني بل في منظور الائتمانية أن إنسانية الإنسان لا تتحقق إلا بالدين وليس أي الدين بل الدين الحق دين الإسلام باعتباره خاتم الأديان السماوية ولتوضيح العلاقة ما بين الإنسان والدين فإنا نطرح تساءل التالي:

إذا كان الدين فيه اللامعقول والذي وجب علينا تأويله ائتمانيا – أخلاقيا –، وإذا كان الإنسان يوجد في الدين، فهل معنى هذا أن الوجود الإنساني فيه من اللامعقولية أيضا؟.

يعمل التأويل الائتماني على نقل تصور الإنسان من الصورة العقلية إلى صورة الأخلاقية، فلم تعد ماهية الإنسان ماهية عقلية، بل ماهية أخلاقية من نتائج هذا التحول: أن أفعال الإنسان جميعها تُرَدُّ إلى الأخلاق حتى العقل نفسه، ومجموع الظواهر الإنسانية تعود ظواهر أخلاقية بمعنى آخر ينقل التأويل الائتماني الأفعال الإنسانية من مرتبة الظاهرة والتي يتحكم فيها قانون السبب والمسبب إلى مرتبة الآية التي يتحكم فيها قانون المقاصد أو القيم ولإدراك هذه القيم فلا بد من الاستعانة بالعقل المؤيد،لأن العقل المجرد لا يدرك إلا الظواهر، يلزم منه أن أفعال الإنسان جميعها،والعقل أيضا فيها درجات من اللامعقولية، كأن ذات الإنسان ذاتين ذات ظاهرة وذات آية والإنسان ليس ظاهرة بل هو آية هذا الإنسان الآية هو اللامعقول، لأنه إنسان القيم يحتاج إلى تأويل أخلاقي لفهمه واستيعابه.

إن التشابه بين اللامعقولية الشعائر واللامعقولية الإنسان الآية يدل على وحدة المصدر، والتشابه في جدية الطلب أي استعمال العقل المؤيد، يدل على أن الإنسان عبارة عن شعائر، والشعائر عبارة عن الإنسان ففي كلا الحالتين يجب طلب القيم، ما كنا لنصل لهذه النتيجة لولا التأويل الائتماني، معنى هذا أن الشعائر تتحقق في صورة إنسان الآية، وأن الإنسان الآية يتواجد في صورة الشعائر. وعلى هذا الأساس يكون الجواب عن السؤال الذي طرحناه سابقا أن الإنسان يضم في جنبيه جزءا غير معقول وهذا الجزء هو الإنسان الآية، أو الإنسان الفطرة أو الإنسان الروحي وهو البعد الديني في الإنسان وهذا البعد لا يخضع لقوانين المادة أو عالم الملك، وهو العالم الذي تخضع له النفس الإنسانية بل إنه ينتمي إلى عالم الملكوت الذي تنكشف فيه قوانين الغيب وهو العالم الذي شهد فيه الإنسان بالربوبية لخالقه قال تعالى: ﴿ وَإِذَ اَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۛ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ اَلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا

[1]– طه عبد الرحمان، سؤال العمل. بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، ط:1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء – المغرب، 2012م، ص229.

عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ سورة الأعراف الآية:[172]، وهو ما يعبر عنه ائتمانيا **بمبدأ الشهادة**[1]، وهو ما يفسر رغبة الإنسان الملحة للدين والبحث الدائم عن الأجوبة للأسئلة الوجودية الكبرى للإنسان، وليس بإمكان انكشاف هذا العالم الملكوتي إلا بالعمل التزكوي أو التجربة الروحية الخالصة قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة الآية:[150] وهو ما يعبر عنه ائتمانيا **بمبدأ التزكية**[2]، كما أن هذه المقاربة الروحية للفلسفة الائتمانية – مقاربة الأخلاقية للدين – والفرق الذي تقيمه الائتمانية ما بين الروح والنفس، يفسر من خلاله الاضطراب الذي لحق بالفكر الحداثي وما بعده لإيجاد تفسير عقلاني لظاهرة الدينية لأنها لم تطلبها في أسبابها الحقيقة – الأسباب الروحية – بل ألصقتها في الأسباب النفسية والمادية والاجتماعية وما كثرت المقاربات للظاهرة الدينية – الأنثروبولوجية والسيكولوجية...- إلا خير دليل على ذلك.

فلولا التأويل الأخلاقي ما استطعنا إدراك، هذا الإنسان، وهو الذي يمثل هوية الإنسان الحقيقية، وما كان باستطاعتنا أن ندرك مصدر الدين والتدين لدى الإنسان والذي لا يفهم حتى يكون الإنسان هو إنسان الآية وليس إنسان الظاهرة، وأيضا أن الشعيرة الدينية جاءت لتساعد الإنسان الظاهرة على كشف اللامعقول فيه وهو الإنسان الآية، وبالعكس أيضا.

المطلب الثالث: النقد الائتماني للأخلاق العلمية – العِلمانية –

الفرع الأول: الأخلاق الإلحادية: يدعوا الإلحاد الجديد إلى تأسيس الأخلاق على العلم بعد أن يقوم باجتثاثها من الدين وإلغائه تماما من الحياة " أنه لا وجود لشيء من قبيل أخلاق مسيحية أو إسلامية أجل، سأحاجج بأن الأخلاق ينبغي أن تعتبر فرعا غير نامٍ من فروع العلم "[3]، بل نزع القيم الخلقية من المعرفة الإنسانية أي أنه يسعى إلى تطبيق المناهج العلوم التجريبية على الأخلاق وهي ليست بجديدة بل حاول قبله علماء الاجتماع أوكست كونت والفلاسفة لتطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية ولكنها باءت بالفشل بحكم تعقيد الظاهرة الإنسانية والعوالم الداخلية للإنسان وأثبتت أن عملية المقايسة أو المماثلة بين الظواهر الطبيعية والإنسانية خاطئة وهو ما أشار إليه غادامير في نقده لهذا الاتجاه وذلك من منظور أن الإنسان كائن تاريخي بقوله: " وطبقا للعلوم الطبيعية، ما دام الكائن الإنساني يحتل مكاناً في التاريخ الطويل للكون، فمن المناسب القول إن العلوم الأخلاقية والروحية تنضم إلى العلوم الطبيعية وهذا خطأ فادح. إنه تأويل غير واف لتاريخية الإنسان. إن الكائنات الإنسانية لا يمكن أن تكون موضع ملاحظة من وجهة نظر باحث، وأنه من المستحيل اختزال هذه الكائنات إلى مجرد موضوعات لنظرية التطور وفهمها من هذا المنظور. "[4]لذا التجأ علماء الإنسانيات و الفلاسفة إلى صياغة منهج جديد يتناسب مع الظاهرة الإنسانية فكان اعتمادهم على الهيرمنيوطيقا بديلا للمنهج التجريبي ومن هؤلاء فيلهلم دلتاي الذي جاء " ليؤكد على أن الهيرمنيوطيقا هي الأساس لكل العلوم الروحية، أي الدراسات الإنسانية

---

[1]– انظر: طه عبد الرحمان، دين الحياء، ج1، ص47.

[2]– انظر: طه عبد الرحمان، المرجع نفسه، ج1، ص54.

[3]– سام هاريس، المشهد الأخلاقي كيف سيحسم العلم سؤال القيم الأخلاقية، ص7.

[4]– هانز جورج غادامير، بداية الفلسفة، تر: علي حاكم صالح، وحسن ناظم، ط:1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ص36.

والعلوم الاجتماعية "[1] والفرق بينهما العلمين من وجهة نظر دالتاي أنه أذا " كانت مهمة العلوم الطبيعية أنها تشرح Explain الطبيعة فإن مهمة الدراسات الإنسانية هي أن تفهم Understand تعبيرات الحياة."[2] فقد أراد دالتاي مسايرة العلوم الطبيعية في صناعة منهج خاص دقيق للعلوم الإنسانية وهذا ما جعله محل، نقد غادامير الذي رفض أن يقيمها على المنهج وذلك من خلال" فك الارتباط بين الحقيقة والمنهج، لأن هذا الارتباط كان حاصلا في العلاقة بين المنهج والحقيقة في العلوم الطبيعية، بينما الأمر بخلاف ذلك في العلوم الإنسانية، بمعنى في حالة العلوم الإنسانية لا يري ضرورة أن يوصل المنهج بالحقيقة. "[3] وعليه يكون محاولة الجمع بينهما لا أساس له كما فعل سام هاريس أن جمع بين الحقيقة العلمية والقيم الجمع، إن هذا الجدال حول المسألة الإنسانية يدل على صعوبة الإحاطة بالظاهرة الإنسانية وأنّ محاولة اختزالها بأي شكل كان هو جرم في حقّ الإنسان وخاصة في أخص مظهر للإنسان ألا وهو القيم الأخلاقية. وهو بدوره ما يطرح إشكالية المنهج للدراسة الظاهرة الدينية فنجد أن طه عبد الرحمان عالج هذه المشكلة انطلاقا من الدين نفسه فإذا استعرنا عبارة عالم اللسانيات دي سويسر فإنه بالإمكان القول أن علم الدين بالمنظور الائتمانية هو: " دراسة الدين في ذاته، ومن أجل ذاته " وهنا نطرح السؤال التالي: هل ما أوجه الشبه بين المنهجين لدى كل من دي سويسر وطه عبد الرحمان؟.

إن أطروحة الإلحاد الجديد في مسألة الأخلاق هي الاعتماد على علم الدماغ وعلم البيولوجيا الجزيئية وعلم الأعصاب في معرفة منشأ الأخلاق إذ يرجع هارس قدرة الإنسان على معرفة الصواب والخطأ وحتى القيم كالرحمة والإحسان إلى عمليات الدماغ يقول: " لدينا من الأدلة ما يحملنا على توقع أن الطيبة، والإحسان، والإنصاف، وغيرها من شيم الخير الكلاسيكية ستبرّر علميا من جانب علم الأعصاب – بمعنى أننا لن نكتشف سوى مزيد من الأسباب التي تدعم الاعتقاد بأنها تعود علينا بالخير، بمعنى أنها تحسن وتصلح حيواتنا على العموم. "[4] ولكن أليست معرفة أسباب التي تدفع الإنسان إلى الخير أو إلى الشر تدعوا إلى التحكم في الجانب الأخلاقي للإنسان مستقبلا فنجد أدوية تعالج الكذب والخيانة و السرقة وغيرها من الأخلاق الذميمة تباع في الصيادلة؟ أليس هذا سلب وإهدار لحرية الإنسان؟ وهل التفسير المادي المعتمد على نشاط الدماغ يكفي في تفسير القيم الأخلاقية؟إن هارس بنى نظريته الأخلاقية على الرفاه الكائنات الواعية [5] ومن مبدأ الجمع بين الحقيقة والقيم[6] وفي نظره أن الفصل بينهما هو خطأ لا بد من تداركه كما يعتمد على شمولية الحقائق العلمية

---

[1]– مصطفي كمال المعنى، ورائد عبد الجليل العواودة، الهيرمينوطيقا الغربية (المعرفة، النص، المعنى) (فضاءات التأويلية الغربية)، ط:1، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2018م، ص52.

[2]– مصطفي كمال المعنى، ورائد عبد الجليل العواودة، المرجع نفسه.

[3]–عبد العزيز بوالشعير، غادامير من فهم الوجود إلى فهم الفهم، منشوراتالاختلاف ،الجزائر العاصمة – الجزائر، دار الأمان، الرباط، 1432هـ – 2011م، ص111 – 112.

[4]– سام هاريس، المشهد الأخلاقي كيف سيحسم العلم سؤال القيم الأخلاقية، ص58.

[5]– لم يضبط هاريس مصطلح الرفاه بل تركه مفتوحا للنقد يقول: " مصطلح الرفاه كمصطلح الصحة مفتوح على مصراعيه أما التمحيص والاستكشاف " وهذا ارتياب من طرفه فلا يمكن بناء مفاهيم أخلاقية على مثل هذا القلق في العبارة وبالتالي تصبح مهمته لبناء علم الأخلاق يشوبها كثير من المشاكل، انظر سام هارِيس، المرجع نفسه، ص26.

[6]– " أنه لا وجود ببساطة لحد قاطع وواضح بين الحقائق والقيم " وهكذا تضم المعايير إلى العلم ويصبح سؤال لماذا من اختصاص العلم أيضا، انظر: سام هارِيس، المرجع نفسه، ص11.

لتحيط حتى بالظواهر الإنسانية[1] وهكذا فإنه يوسع من دلالة العلم ليدخل كل المعرفة الإنسانية ويزيح المعرفة الدينية خارجا ولذا يدعوا إلى تأسيس علم الأخلاق وينادي بالأخلاق الكونية التي تضم الإنسانية جمعاء.

الفرع الثاني: الأخلاق الائتمانية: تقول الفلسفة الائتمانية أنه من الخطأ الفصل بين الأخلاق والدين بأي شكل كان والدليل على ذلك القلق الذي أصاب المفاهيم الأخلاقية يوم أن انتزعت من مجالها الأصلي ألا وهو الدين يبين طه عبد الرحمان ذلك في العبارة الآتية: " وليس هذا المجال المنسي الذي بدونه لا تسكن هذه المفاهيم ولا تثبت ولا تتمكن إلا مجال الدينيات؛ والدينيات هي المجال الذي يجمع إلى عنصر الإنسانيات وعنصر المعنويات عنصرا ثالثا هو الغيبيات، فكل مفهوم ديني هو في نفس الوقت مفهوم إنساني ومعنوي وغيبي."[2]ومعنى هذا أن المفاهيم الأخلاقية لها عالمان؛ عالم ملكي – الظواهر –أو عالم الشهادة وعالم ملكوتي – الآيات – أو عالم الغيب، وهما متلازمان لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر إذا فنحن أمام ثلاث عوالم، عالم الإنسانيات وعالم المعنويات وعالم الغيبيات إذا فبنظر إلى الائتمانية فإن ما يقوم به الملحدون الجدد هو إلغاء العوالم الثلاث دفعة واحدة أو الاستيلاء على هذه العوالم واختزالها في عالم الماديات فقط وهو إلغاء لثراء الحياة الإنسانية الداخلية وعنف في حق الإنسان، وإلغاء عوالم الغيب لا يكون إلا بإنكار وجود الله عز وجل وهو الأساس الذي يمُد القيم الأخلاقية بالمعاني والأسرار وهو الضامن لاستقرار المفاهيم الأخلاقية ومنه فعالم الأخلاق يرتكز على الإيمان بوجود الله عز وجل وبدونه تصبح الأخلاق بلا أساس وهذا خطر على وجود الإنسان إذ ترتد هذه النزعة لا التأسسيسانية على الإنسان ذاته و تهوي به إلى العدمية والعبثية ويصبح فاقدا للمعنى مستلبا لحياته فلا معنى بلا قيم ولا قيم بلا أخلاق ولا أخلاق بلا أساس وتلك هي أطروحة ما بعد الحداثة أو ما بعد الأخلاق أو ما بعد الإنسانية أو ما بعد التأسيسانية أو ما بعد الدهرانية ومن أبرز ممثليها الفيلسوف الألماني: غادامير والفيلسوف الأمريكي ريتشارد ريتي و الفيلسوف الايطالي جياني فاتيمو يقول علي حاكم صالح: " إن الانتقال من التأسسيسانية إلى ضدها انتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة. ولهذا الانتقال رواد من بينهم، الفيلسوف الألماني هانز جورج غادامير Hans-Georg Gadamer(1900-2002). "[3] ومنه بالإمكان القول أن طه عبد الرحمان قام بعملية الحفر معرفي إذ ردّ أصل المفاهيم الأخلاقية إلى الدين ومنذ تلك اللحظة تم الجمع بين الأخلاق والدين في النسق الائتماني، كما أننا نلاحظ اتجاه الائتمانية إلى القيام بعمليات تأسيسية كتأسيس العقل على العمل الشرعي مثلا وغيرها من التأسيسيات وهذا كله يعمل على استقرار الإنسان وجوديا والحفاظ على المعنى فلا يهدر كما مرّ علينا سابقا.

إذا كانت الأخلاق مصدرها الدين، وهي لا تنفك عن عالم الغيبفكيف يمكن للإنسان أن يدرك حقيقة هذه الأخلاق؟ وأي ملكة بإمكانها أن تناسب المفاهيم الأخلاقية؟ وأي المفاهيم الدينية تكون مستودع للقيم الأخلاقية؟.

---

[1]– " إن للحقائق العلمية درجة من الشمولية تكون نافذة على جميع المجتمعات وأن القيم الأخلاقية نسبية، وتبدو مثل هذه المقولة وكأنها إحدى هفوات العلمانية. "، انظر: سام هاريس، نهاية الإيمان الدين، الإرهاب، ومستقبل العقل، ص168.

[2]– طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق، ص25.

[3]– انظر: علي حاكم صالح، هل يمكن قيام الأخلاق دون أساس؟ نظرات في أخلاقيات ما بعد الحداثة، تبينُّ، المجلد 12، العدد، 46، خريف 2023، ص101 وما بعدها.

الفرع الثالث: القيم و اتصال الفطرة الإنسانية بالأسماء الحسنى: إن القيم الأخلاقية من وجهة الائتمانية هي أمانة أودعت لدي الإنسان بموجب **ميثاق الأمانة** الذي أخذه الإنسان من ربه عز وجلّ وهو في عالم الملكوتي ويلجأ طه عبد الرحمان لتأسيس هذه الفكرة إلى النص القرآني يقول الله تعالى: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ سورة الأحزاب الآية:72وتحاجج الائتمانية بأن الأسماء الحسنى هي مصدر القيم الخلقية بحيث لا يكون اسم من أسماء المولى عز وجل إلى ويطوي ضمنه خلق أو مجموعة من الأخلاق وهي لا متناهية بحكم لا تناهي في أسماء المولى عز وجل ولا تتناهي مدلولاتها يقول طه عبد الرحمان: " أن القيم إنما هي المعاني الملكوتية التي يستمد الإنسان من الأسماء الحسني،...، أو قل الأسماء الحسنى هي خزائن القيم التي بها قوام تخلق الإنسان. "[1] ولا يمكن للإنسان أن يعلم بالأسماء الحسنى إلا عن طريق الوحي ولهذا كانت حاجة الإنسان للأنبياء وللكتب المقدسة باعتبارها كلام الله عزّ وجل والذي كان آخرها القرآن الكريملهداية الناس إليها يقول طه عبد الرحمان: "فإذا كانت الآية القولية تدل على مُنزلها (بضم الميم) كما تدل الآية الكونية على موجدها، فإنها تزيد عليها من كونها تذكُر لنا الأسماء منزلها الأعلى، في حين أن الآية الكونية، وإن تجلت فيها الأسماء الإلهية، فلا توصلنا بذاتها إلى العلم بها، إلا أن تتوسط بالآية القولية؛ إذ هي التي تنبهنا على وجود هذا التجلي فيها، منهضة همتنا إلى التعرف إلى المتجلي سبحانه. "[2].

ويعتبر الإنسان من منظور ائتماني له القدرة على تقيم الأشياء وذلك من خلال ملكة إدراكية خاصة به، لها خصائص ملكوتية بعيدة عن عالم الملك والتي يطلق عليها **الفطرة** يقول طه عبد الرحمان: "وجب أن يكون مصدر القيمة من جنس يضاد جنس الغريزة كما تضاد القيمة الواقعة، وليس ذلك إلا الفطرة التي خلق عليها الإنسان...إن الفطرة عبارة عن قيم عملية ذات أصل روحي في مقابل الغريزة التي هي عبارة عن وقائع سلوكية ذات أصل مادي. "[3] إننا أمام تمايز بين (الروح، الفطرة)، و (النفس، الغريزة) وقد خصت لكل واحد منها بنوع خاص من الإدراك والحركة فالأولى لها إدراك ملكوتي: " الروح القوة الإدراكية التي يتوصل بها إلى إدراك باطن العالم أو أسراره، أي عالم الملكوت"[4]، أما حركتها فهي للأعلى:" حركة القوة الإدراكية الروحية حركة أو سيرا عموديا خصته باسم العروج. "[5]، أما النفس فإدراكها ملكي: " النفس هي القوة الإدراكية التي يتوصل بها إلى إدراك ظاهر العالم أو أسبابه، أي عالم الملك. "[6] وحركتها فهي باتجاه أفقي: " حركة القوة الإدراكية النفسية هي حركة أو سيرا أفقيا خصته باسم الإسراء أو السريان. "[7] وهذا بناء على أن الإنسان في نظر الائتمانية مزدوج الكينونة.

---

[1]– طه عبد الرحمان، دين الحياء. من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني – 2 – التحديات الأخلاقيةلثورة الإعلام والاتصال، ط:1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت، 2017م، ص72.

[2]– طه عبد الرحمان، دين الحياء، ج1، ص106 – 107.

[3]– طه عبد الرحمان، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، ط:2، المركز الثقافي العربي، دارالبيضاء – المغرب –، 2006م، ص230.

[4]– طه عبد الرحمان، سؤال العنف، بين الائتمانية والحوارية، ط:1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت، 2017م، ص24.

[5]– طه عد الرحمان، المرجع نفسه.

[6]– طه عد الرحمان، المرجع نفسه.

[7]– طه عد الرحمان، المرجع نفسه.

النقد: وعلى ذكر ماسبق بالإمكان نقد الرؤية الإلحادية المعاصر لربط الأخلاق بالعقل أو علم الدماغ باعتبار العلاقة الوثيقة بين العقل والدماغ فما قدمه الإلحاد المعاصر من تأويل علمي للأخلاق وإرجاعها إلى التفاعل مناطق خاصة في الدماغ ما هو في نظر الائتمانية إلا مظهر من مظاهر النفس وذلك باعتبار العقل المجرد فعل من أفعالها فيصبح نوع الإدراك الحاصل هو إدراك ملكي وحركة العقل هي حركة إسراء أو سريان وهكذا يلغي جانب الغيبي من المفاهيم الأخلاقية، وتصبح الأخلاق أكثر تجذُّرا في البعد المادي وتزداد كثافتها وتبتعد عن رقتها أكثر فأكثر يمكن أن نسمي هذه العملية بالانثقال[1] وما هذا إلا قصور في الرؤية الإلحادية لظَّاهرة الإنسانية وما تعلق بها من أخلاق بالدرجة الأولى، على عكس أخلاق الائتمانية التي تنبني على خلق الحياء لبعده الملكوتي وما من خلق إلا وله جزء من خلق الحياء فكل الأخلاق الائتمانية تحي بالحياء وتكون أكثر رقة ودقة " إن الحياء،..، يكون خلقا ملكوتيا يعرج بالروح."[2].

و هذا البعد الملكوتي للأخلاق لا يناسبه إلا إدراك من جنسه وذو أصل ملكوتي وهي القوة الروحية كما قلنا سابقا لذا وجب إيقاظ هذه القوة ولا يكون ذلك إلا **بالعمل التزكوي** فهو وحده القادر على إيقاظ هذه الروح والذي ينبني على التجربة الروحية التي تستند على الذكر بأسماء الله الحسنى إنّ "همُّ العمل التزكوي الأول أن يعيد إلى الفرد ذاكرته الأصلية ويزيح الغطاء النفسي عن روحه،...، وعلامة انبعاثها أنه يكتشف في داخله قوة استصبار لم يكن يشعر بها من قبل، غير قوة الاعتبار التي يستدل بها ولا بالأحرى قوة الإبصار التي ينظر بها،...، وهذه القوة المكتشَفة ليست على الحقيقةإلا **قوة تذُّكر** أدى إلى طمسها وحجبها تلوث الروح بأهواء النفس"[3] ولا يمكن لأي تجربة إنسانية أخرى سواء اعتمدت على العقل المجرد أو التأمل العقلي أو التجربة المادية أو العلم التجريبي أو العلوم الإنسانية أن تدرك حقيقة الأخلاق بموجب أن هذه وسائل توقظ القوة النفسية فقط وبالتالي تختزل الأخلاق إلى بعدها المادي وحده.

إن تأسيس الأخلاق على مقولات العلم التجريبي والانطلاق من مبدأ إنكار وجود الإله ما هو فينظر الائتمانية إلا منازعة المولى تعالى في أخص أوصافه ألا وهي" الألوهية " والتي تجمعجمال الصفات وجلال الصفات معاوما ينتج عنه من آثار هو انقلاب في المقاصد التي أرادها الإلحاد المعاصر بأن يؤسس أخلاق كونية تضم جميع البشر دون استثناء من أجل عالم خال من العنف وما هذه إلا نظرة طوباية لعالم الإنسان وهكذا يكون الإلحاد المعاصر قد جمع سوءات من سبقه من الدهريين وما بعد الدهريين معا.

الخاتمة:

1. إن الفلسفة الائتمانية هي فلسفة أخلاقية تنطلق من المشترك الأخلاقي للأديان السماوية ومن خصائص الدين الإسلامي كالعالمية والخاتمية...
2. اعتمدت الفلسفة الائتمانية المقاربة الروحية في فهم الظاهرة الدينية مما سمح لها بالجمع بينها وبين الظاهرة الإنسانية وأعادت قراءة التاريخ الديني انطلاقا من القيم الأخلاقية.

---

[1]- قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض. ﴾ سورة التوبة، الآية: 38.

[2]- طه عبد الرحمان، دين الحياء، ج1، ص196 – 197.

[3]- طه عبد الرحمان، رُوح الدّين. من ضَيق العَلمانية إلى سَعَة الائتمانية، ط:2، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء – المغرب، 2012م، ص277 – 278.

3. كشفت الفلسفة الائتمانية عن عجز المقاربات الحداثية لفهم الظاهرة الدينية لأنها رفضت البعد الروحي للإنسان وتعامل معه وخلطت بينه وبين البعد النفسي للإنسان.
4. راهنة الفلسفة الائتمانية على بناء مصطلحاتها من داخل المجال التداولي الإسلامي في بناء نسقها واستشكالاتها ونقدها للأنساق المعرفية الأخرى فكان التنوع والثراء في المصطلحات منها: المعراج الإسراء، عالم الملكي، عالم الملكوتي، الدهرانية، ما بعد الدهرانية، المروق والشرود،...وهو ما يعتبر تجديدا في الفكر الديني.
5. كشف النقد الائتماني للحداثة على أوجه الارتباط بينها وبين الظاهرة الإلحادية وأنها تختلف صورها باختلاف صور الفصل بين مجالات الحياة والدين.
6. إن الأخلاق الائتمانية أخلاق ملكوتية ذات أصل روحي تتأسس على الأسماء الحسنى والإنسان مؤتمن عليها.
7. إن الأخلاق الإلحادية المعاصرة أخلاق مِلك ذات أصل نفسي تتأسس على المقولات المادية والإنسان متسيب فيها.

التوصيات:

1. ندعو الباحثين إلى الاهتمام بالفكر الائتماني وذلك من خلال تطبيقه على استشكالات خارج أفق صاحبها منها: الإلحاد المعاصر، وأخلاقيات البيئة، وأخلاقيات الطبية، وغيرها....
2. الدعوة إلى الاهتمام بالمصطلح وإشكالاته وخاصة المصطلحات الدينية وذلك لخصوصيتها الدينية وإظهار بعدها المعرفي والإنساني.

قائمة المصادر والمراجع

أ/ القرآن الكريم

ب/ الكتب:

1. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط:2،2001م.
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت – لبنان، بلا عدد الطبعة، 1994م/ 1414هـ.
3. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

4. ريتشارد دوكينز، وهم الإله، تر: بسام البغدادي، ط:2، بلا سنة الطبع.
5. سام هارِيس، المشهد الأخلاقي كيف سيحسم العلم سؤال القيم الأخلاقية، بدون سنة الطبع.
6. سام هاريس، نهاية الإيمان الدين، الإرهاب، ومستقبل العقل، تر: محمد سام العراقي، ط:2، بلا سنة الطبع.
7. طه عبد الرحمان سؤال الأخلاق. مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء – المغرب، ط:1، 2000م.
8. طه عبد الرحمان، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء – المغرب، ط:2، 2006م.
9. طه عبد الرحمان، الحوار أُفُقًا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت – لبنان، ط:1، 2013م.
10. طه عبد الرحمان، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء– المغرب، ط:2، 1997م.
11. طه عبد الرحمان، بُؤس الدَّهْرانية. النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت – لبنان، ط:1، 2014م.
12. طه عبد الرحمان، ثغور المرابطة مقاربة ائتمانية الصراعات الأمة الحالية، منشورات مركز مغارب للدراسات في الاجتماع الإنساني، الرباط – المغرب، ط:1، 1414هـ – 2018م.
13. طه عبد الرحمان، دين الحياء. من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني – 1 – أصول النظر الائتماني،المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت، ط1، 2017م.
14. طه عبد الرحمان، دين الحياء. من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني – 2 – التحديات الأخلاقية لثورة الإعلام والاتصال، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت، ط:1، 2017م.
15. طه عبد الرحمان، روح الدّين. من ضَيق العَلمانية إلى سَعَة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء – المغرب، ط:2، 2012م.
16. طه عبد الرحمان، سؤال العنف، بين الائتمانية والحوارية، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت، ط:1، 2017م.
17. طه عبد الرحمان، شرود ما بعد الدهرانية النقد الائتماني للخروج من الأخلاق، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان – بيروت، ط:1، بلا سنة الطبع.
18. عبد العزيز بوالشعير، غادامير من فهم الوجود إلى فهم الفهم، منشوراتالاختلاف،الجزائر العاصمة – الجزائر، دار الأمان، الرباط، 1432هـ – 2011م.
19. عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير: سوزان حرفي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط:4، 1434هـ – 2013م.
20. مصطفي كمال المعنى، ورائد عبد الجليل العواودة، الهيرمينوطيقا الغربية (المعرفة، النص، المعنى) (فضاءات التأويلية الغربية)، ط:1، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2018م.

21. ابن منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
22. هانز جورج غادامير، بداية الفلسفة، تر: علي حاكم صالح، وحسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط:1، 2002م.

ج/ المقالات:

23. عبد الله الشهري، هل الإلحاد لاعقلاني؟، ?ls Atheismlrrational، جاري جنتج مع ألفن بلانتنجا، مجلة براهين، العدد 4.
24. علي حاكم صالح، هل يمكن قيام الأخلاق دون أساس؟ نظرات في أخلاقيات ما بعد الحداثة، تبينٌ، المجلد 12، العدد، 46، خريف 2023.